الابداع والشعر المستعار

يقول الأديب عبدالفتاح أفندى شريف إن العقاد يسرق شعره وأدبه من الآداب العالمية . فهل الاطلاع الواسع على آداب الغير يعتبر جرماً فى نظر ذلك الأديب ؟ ! وهل كثرة الاطلاع مما يعاقب عليه الأديب ؟ وهل توافق الخواطر فى بعض الأشياء يعدّ سرقة تؤخذ على الكتاب والشعراء .

لقد قال ذلك الأديب أيضاً إنّ العقاد يتعالى على غيره من الشعراء ويستخفّ بهم . ولكن العقاد لم يفعل شيئاً مما ذكره حضرة الكاتب ، بل هو نبيل حتى فى خصومته الأدبية ، واذا كان عزوفه عن الجلبة والضوضاء مما يعتبر أو يُظنّ تصلفاً وكبرياء وتعالياً فليس ذلك ذنبه ولكنه ذنب منتقديه . أفلأنّ العقاد رأى أنّ الكروان مهضومٌ مغمورٌ مُهْمَلٌ لا يذكره أديبٌ أو شاعرٌ فى مقال أو قصيدة فسمّى ديوانه الأخير باسمه وأهداه اليه ، وألأنّه اصطحب ذلك الطائر المصرى المحبوب يحمل عليه ذلك الكاتب وغيره من الحسدة المغرورين ؟ واذا كان هذا الكاتب يعتبر شتائم (على السفّود) البذيئة نقداً فقد عرفنا مبلغ عقليته ونظرته الى الأدب وتفهّمه للنقد ، وحقّ علينا أن نرثى له بدل أن نؤاخذه ! ولا يفوتنا هنا أن نقول إن شتائم (على السفّود) لم تكتب الاّ تشفيّاً من العقاد لصراحة العقاد ، ولقد كان الرافعى يحترم العقاد كلّ الاحترام قبل أن ينقد العقاد كتاباً له ؟

حسين المرصفى الفنام

كتاب شحذ القريحة فى المقطعات البليغة الفصيحة

فى الشعر والشاعر والفنون الشعرية

تأليف عيسى اسكندر المعلوف

(عضو المجمع الملكى للغة العربية)

هذا كتاب اشتغلتُ بجمعه وتأليفه نحو نصف قرن فرافقنى صبياً وشاباً وكهلاً ولم يذق مثلى ما ذقته من مرارة العيش وتقلبات الأيام . وضعته فى (الشعر والشاعر والفنون الشعرية) وفى صدره بيتان من نظمى هما :

بديعُ الشعر طىّ مقطعاتٍ دعوناها البليغة والفصيحهْ
فطالع ما تراهُ من معانٍ جمعناها بها شحذ القريحهْ

الجزء الأول

وهو فى جزأين مخطوطين كبيرين : (الأول) فى الشعر والشاعر والفنون الشعرية فى نحو خمسمائة صفحة بقطع الربع العريض قسمت كل صفحة منه ، قسمين فتكون صفحاته مزدوجة أى نحو الف صفحة ، يبحث فى الشعر عموماً وطبقات الشعراء وتحليل شعراء الجاهلية فشعراء العرب العرباء فالمتقدمين والمتأخرين فالمعاصرين ثم فى شعر الاعاجم وفيه نقد بيانى لاقوالهم وذكر محاسنهم ومساوئهم.

ثم يبحث فى الشاعر وآدابه ووفيات الشعراء باختصار وفى القريحة والذوق والحس والخيال والمعانى الشعرية والموازنة بين شعر المشرق وشعر المغرب العربى وصناعة قرض الشعر ثم اكتساب ملكة النظم والنثر وتفاضل الشعراء ودلالة الأقوال على الصفات والافعال واختلاف خيالات الشعراء والتقليد والتجدُّد والروية والارتجال والذكاء والعبقرية والنبوغ والموازنة بين الشعر العربى والاعجمى وما ساوق هذه المباحث الطريفة والتليدة .

ثم البحث فى الفنون الشعرية وهو فريد فى بابه لكثرة ما فيه من الأمثلة الغريبة من تفنن الشعراء وصور مقطوعاتهم المختلفة ، وتصرفهم فى الوزن والكتابة والتعبير على أشكال بديعة من البناء على حرفين فصاعداً فالمقطعات فالطوال فالمربعات

وما فوقها فالقوافى المتلونة كالحرباء فالتصدير والتعجيز والمحصصات والمثنيات الى المعشرات والالفيات على حروف المعجم والمحبوكات والمحصنات والمشجرات والموصّلات والمدبجات والمصحفات والمخلّعات والموزّعات والمسماة باسماء مختلفة كثيرة بالنسبة الى صورها وأشكالها والمولدات من النثر والمشبكات ...الخ ... الخ . ثم التشطير الى التعشير والتذييل والموشحات وانواعها وصورة كتابتها كالوشاح حتى سميت الموشحات والتاريخ الشعرى بحساب الجمل منذ وضعه القديم الى يومنا والقصائد التاريخية والمحاضرات والاجازات ومنها الشيوع والمفاوضة والمعارضة والمساجلة والمرافدة والامتحان والتمليط والمتر ومذاكرة الانفاس ثم فصل الحل والعقد والاخذ والاحتذاء والالغاز والمعميات والاحاجى والانتقاد والتعريب والترجمة وغرائب القوافى والاشعار والاوزان وتهذيب الكلام وتنقيحه وفوائد مختلفة عن الشعراء الذين يحتج بكلامهم وما اشتهروا به من الكنى والالقاب وما سموا به من أقوالهم وأقوال غيرهم والملاحم أى طوال القصائد .

هذه أهم موضوعات الجزء الاول وهى مرصعة بأمثلة كثيرة من أقوال الشعراء فى كل عصر قديمه وحديثه ، وتحتها مباحث لذيذة ومقدمات لطيفة وخواتم مفيدة.

الجزء الثانى

وهذا الجزء بقطع الاول يبحث فى المعانى الشعرية ومقاطيع الشعراء فى جميع الشؤون من السماء الى الأرض فالبحار فالانهر فالبحيرات فالبرك فالحيوانات ورأسها الانسان وانواعها فالنبات فالجماد فالعلوم والفنون والادوات القديمة والحديثة وأقوال الشعراء على اختلاف أمكنتهم وأزمنتهم يقع فى أكثر من تسعمائة صفحة مزدوجة أى نحو ١٨٠٠ صفحة بحقلين مثل الاول وفيه ما فيه من الاشعار الفصيحة البليغة مقتطفة من مئات الاسفار المخطوطة والمطبوعة ولا سيما شعر الاندلس وبدائعه وقلما يخطر لك معنى ولا ترى شيئاً من نظم العرب فيه واليك أمثلة منه :

فمن نظمهم فى الافلاك قول أحدهم فى أديم السماء :

لما بدا فى لازوردىّ الحرير وقد بهرْ
كبّرتُ من فرط الجمال ، وقلتُ : ما هذا بشرْ
فأجابنى لا تنكرن ثوب السماء على القمرْ

وقول أبي تمام غالب الاندلسي في البدر :

زرتُ الحبيب ولا شيء أحاذره ... في ليلةٍ قد لوت بالغمض أشفارا
في ليلة خلتُ من حسنٍ كواكبها ... دراهماً وحسبتُ البدر دينارا

وقول البحتري في السيارات :

مضيٌّ تظل العين تصبغ خدَّهُ ... متى تثنِ فيه لحظةً يتعصفرِ
كأن النجوم الزهر أدَّتْهُ خالصاً ... لزهرة صبحٍ قد تعلَّت ومشترى

وقال ابن لسان الدين الاندلسي من موشح في الابراج :

حمل المريخ بالكأس ظهر ... قارنته زهرة كالحببِ
ضرب الجوزاء سيفاً قد شهر ... قالت الأقمار : يا شمس العبي
سنبل الميزان وزّان الضرر ... يزن الراح بوزن الذهبِ
عقرب المريخ في القوس رمى ... حدّ سهمٍ لفؤاد المقدسِ
ضرب الجدىَ بما قد حكما ... صادت الدلو بحوت العبَسِ

وقول ابن هانيء الاندلسي في الثوابت من قصيدة :

أليلتنا إذ أرسلت وارداً وصفا ... وبتنا نرى الجوزاءَ في أُذنها شنفا
وقد فكّت الظلماء بعض قيودها ... وقد قام جيش الليل للفجر واصطفَّا
وولّت نجومٌ للثريا كأنها ... خواتم تبدو في بنان يدٍ تخفى
ومرَّ على آثارها دَبَرَانها ... كصاحب ردءٍ أكمنت خيله خلفا
وأقبلت الشِّعرَى العَبورُ ملبَّةً ... بمرزمها البعبوب تجنبه طرْفا
وقد بادرتها أختها من ورائها ... لتحرق من ثنيَيْ مجرَّتها سجفا
تخاف زئير الليث يقدم نثره ... وبربر في الظلماء ينسفها نسفا
كأن السماكين اللذين تظاهرا ... على لبدتيه ضامنين لهُ الحتفا
فذا رامحٌ يهوى اليه سنانه ... وذا أعزلٌ قد عضَّ أنمله هلفا

وقول المهلبي في شروق الشمس :

والشمس من مشرقها قد بدت ... مشرقةً ليس لها حاجبُ

كأنها بوتقةٌ احميتْ يجول فيها ذهبٌ ذائبُ

وقول بعضهم فى اقتران الزهرة بالهلال :

والجوّ صاف والهلال مشنّف بالزهرة الزهراء نحو المغربِ
كصحيفة زرقاء فيها نقطةٌ من فضة من تحت نون مذهبِ

وقول ابن الابار فى خسوف القمر :

ألم تَرَ للخسوف وكيف أبدى ببدر التمّ لمّاع الضياء
كمرآة جلاها الغبن حتى أنارت ثم ردّت فى غشاء

وقول فرنسيس مرّاش الحلبى فى كسوف الشمس :

أيها العالم الشهير دع الغيظ اذا خان ذلك التلميذُ
واترك العتب إن يخن ذمة العهد فمن طبعه الردى فنعوذُ
ومن الشمس يأخذ القمرُ النورَ ومنه كسوفها مأخوذُ

وقول ابراهيم الاكرمى فى النيزك :

ما كان أهنا عيشها ليته دام ، وليت العمر فيه انقضى!
مرّت كنجم قد هوى ساقطاً لم يعتلقهُ الطرف حتى اختفى

وقول العباس بن الاحنف فى المذنب :

أحيد عن بابكمُ من خوف أمى وأبى
والحب قد قيّدنى فليس لى من مهربِ
فصرتُ فى الأرض كما فى الجوّ نجم الذنبِ

وقول السرى الرفاء من أبيات فى قوس قزح :

والجوّ فى ممّلك طرازُه قوس قزح
يبكى بلا حزن كما يضحك من غير فرح

الى أمثال هذه الروائع ما؟

زحلة (لبنان) : عيسى اسكندر المعلوف